الفصل الثاني

المعاجم العربية وأنواعها

يجدر بنا قبل دراسة نموذج المعجم العربي أن نشير في عجالة إلى تاريخ المعاجم العربية وأهم الأقسام التي دارت في فلكها، إذ إن لفظة معجم تطلق على نوع من الكتب التي تعنى في مادتها بدراسة اللغة، وهي تعالج الألفاظ بطريقتين:-

1- **النوع الأول:** معجم يدور حول معنى الكلمة شرحا وإيضاحا ليخرج منها بما يعرف بالمعنى المعجمي، ومادة هذه المعاجم هي الكلمات التي يدور حولها نشاطه بالشرح والتحليل تاريخيا أو وصفيا ليحقق غايته في التصريف الدقيق للكلمة وتطوراتها واشتقاقاتها وطريقة نطقها وكيفية هجائها ويعطي مداخلها من حيث المادة والصيغة ونوعها الجراماطيقي أي كل ما يتصل بالمنهج الصوتي والصرفي والاشتقاق والنحوي[1] وقد سمى ابن سيده هذا النوع الأول من المعاجم معجم الألفاظ أو المعجم المجنس[2].

2- **والنوع الثاني** من المعاجم يطلق على الكتب التي تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو بموضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب وقد أسمى ابن سيده هذا النوع الثاني المعجم المبوب أو معجم المعاني[3].

فالمعاجم على هذا بنوعيها هي كتب اللغة التي ترتب فيها الألفاظ على حروف المعجم أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة، وقد استقت هذه المعاجم مادتها الأساسية من أفواه العرب بطريقة أو بأخرى، ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم وألفاظهم وعلومهم وآدابهم.

وقد كانت بداية تجميع هذه المواد بتدوينها في كتب مستقلة كل موضوع على حدة، كما صنع الأصمعي في كتب الإبل وأسماء الوحوش وخلق الإنسان والخيل والشاه والنبات والشجر والنخيل وغيرها، وأبو زيد في كتب اللبن والمطر ويدخل ضمن هذا القسم ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الألفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائي وأبي زيد والشيباني والقالي وكتب الغريب في اللغة كغريب أبي عبيد والشيباني وابن الأعرابي وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها وألفاظها وكذلك كتب الأضداد والأشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة 327هـ وكتاب البارع للقالي وأبنية الأفعال لابن القوطية وديوان الأدب لإسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى سنة 350هـ خال الجوهري صاحب تاج اللغة وهكذا ... الخ.

والجدير بالذكر أن علماء اللغة كانوا سابقين في استعمال لفظة المعجم فوضع أبو يعلي أحمد بن المثني (210- 307هـ) في كتابيه: "المعجم الكبير" و"المعجم الصغير" ثم أطلق – في مرحلة تالية – هذا اللفظ على المباحث اللغوية التي تعالج اللفظة فتشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى أو موضوع واحد في رسالة أو كتاب أو باب من كتاب ... إلى آخره[4].

ومما يجدر ذكره أننا إذا نظرنا إلى مادة (عجم) في المعاجم العربية وجدنا أن لفظة (معجم) تحمل دلالات لغوية متعددة[5]، وقد جاء في باب السلب لابن جني أن الهمزة في أعجم لسلب معنى

الاستفهام[6] وكما يقول ابن جني أن مادة "عجم" وتصريفاتها أين وقعت في كلام العرب إنما هي للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح[7] وأن الهمزة للسلب أي سلب المعنى الأصلي وإثبات عكسه ومعناه أن إعجام الكتاب أي إزالة استعجامه باللفظ – كما أن الإعجام هو تنقيط الحروف لتمييز ما بينها من إبهام، ومن هنا سميت حروف الهجاء حروف المعجم وجاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات وغموضها معجما[8].

وقد لاحظ د.البدراوي زهران أن مصطلح المعجم جاءنا في البداية من علماء الحديث الذين كانوا سابقين في استعمال المصطلح؛ فالإمام البخاري قد كتب في صحيحه "باب تسمية من سمي من أهل بدر على حروف المعجم"[9]. وأن أبا يعلي أحمد بن علي بن المثني وضع معجما سماه معجم الصحابة وأن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي وضع كتابين في أسماء الصحابة[10] سماهما: المعجم الكبير والمعجم الصغير.

وقد تعددت مدلولات المصطلح إلى أمور أخرى في القرن الرابع الهجري فأطلق المصطلح على كثير من الكتب مثل المعجم الكبير والصغير والأوسط في قراءات القرآن وأسمائه لأبي يكن محمد بن الحسن النقاش الموصلي ومعجم الشيوخ لأبي الحسن عبد الباقي بن قائع بن مرزوق البغدادي ومعجم الشيوخ لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي وأطلقها ياقوت الحموي على معجم البلدان ومعجم الأدباء وأطلقها عمر رضا كحالة على معجم قبائل العرب وأطلق اللغويون كلمة المعجم بمعناها المتعارف عليه اليوم.

أما كلمة قاموس فجاءت من أن مادة "قمس" تعني البحر العظيم أو وسطه أو معظمه وقد أطلق علماء العربية الأقدمون اسما من أسماء البحر أو صفة من صفاته على مؤلفاتهم في هذا المجال تعظيما بما حواه من خضم هائل من لغة التي هي بحر لا يدرك شاطئه، فأطلق الصاحب ابن عباد على معجمه اسم "المحيط" وأطلق ابن سيده على معجمه اسم "المحكم والمحيط الأعظم" ويسمي الصاغاني معجمه "العباب" أو "مجمع البحرين" وأطلق الفيروزابادي على معجمه اسم "القاموس المحيط" وكان حظ القاموس المحيط أن انتشر وشاع اسمه بين جماهير أهل العربية وارتبط مصطلح قاموس في الأذهان بدلالة لفظ معجم حتى في أذهان المتخصصين[11].

أنواع المعاجم العربية[12]:

تصدرت أنواع المعاجم التي تعنى بدراسة اللغة واشتقاقاتها وبنياتها وموضوعاتها وانقسمت أقساما متعددة نجملها فيما يأتي مع ذكر أمثلة لها:

1- معجم الألفاظ المفردة:-

هذا النوع من المعاجم هو الذي يشرح ألفاظ اللغة، وكيفية ورودها في الاستعمال على نحو ما، وقد تحمل مصنفو هذه المعاجم من القدماء عبء التصنيف الفردي بعكس المعاجم الحديثة التي اتخذت طابعا جماعيا في إنجاز العمل كما يحدث في المجامع اللغوية.

ومن أمثلة تلك المعاجم التي نتكلم عنها: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 175هـ ومختصر العين قام به الزبيدي وكثير من الأعمال التي قامت معتمدة على هذا المعجم، ومعجم الصحاح للجوهري (398هـ) ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وقد عني بترتيبه محمود خاطر، وتهذيب الصحاح لمحمود الزنجاني ولسان العرب لابن منظور (711هـ) والقاموس المحيط للفيروزابادي (817هـ) وقطر المحيط لبطرس البستاني وتاج العروس للزبيدي(1205هـ) ويضاف إلى ذلك المعاجم التي أصدرتها مجامع اللغة العربية يأتي في مقدمتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أصدر المعجم الكبير والمعجم الوجيز والمعجم الوسيط.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المعاجم كلها التزمت في ترتيب مادتها أن يكون بابها الحرف الأخير؛ وقد ساعدهم على هذا الاختيار أن لام الكلمة أثبت من فائها إضافة إلى تقديس الحرف الأخير في قوافي الشعر وسجع النثر غير أن هذا أوقعهم في بعض العيوب وهذا ما سنشير إليه عند دراستنا معجم لسان العرب لابن منظور.

أما الزمخشري فقد رتب معجمه أساس البلاغة ترتيبا هجائيا بأوائل الألفاظ بعد تجريدها، وهذا عينه ما صنعه المجمع اللغوي في معجمه الكبير والوسيط والوجيز ويتميز أساس البلاغة بإيراد النصوص البلاغية والأدبية الدالة على المعاني المختلفة للفظة مبتدئا بالمعاني الحقيقية ثم المجازية مع وفرة الشواهد وهو بهذا يعد

معلما من المعالم الهامة على حركة التأليف المعجمي في التراث.

2- معاجم المعاني –أو الموضوعات –:–

وهذا النوع الثاني من المعاجم العربية يورد المعاني في أبواب ويرتب الألفاظ اللغوية حسب موضوعاتها ومنها: الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني وفقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده (458هـ) ويقع في سبعة عشر جزءا.

3- المعاجم التأصيلية أو معاجم الألفاظ الدخيلة:–

وهي التي تبحث في أصول الألفاظ وتوقف الباحث على أصل الكلمة إن كانت عربية الأصل أو غير عربية وتبحث في أصل الدخيل حيث يذكر أمام كل لفظ دخيل أصله في لغته الأصلية ومعناه وأمثلة استعمالاته، ومنه كتاب العرب للجواليقي(540هـ) وكتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي(1069هـ).

4- المعاجم التاريخية أو التطورية:–

من الثابت أن الألفاظ مثل الكائن الحي تولد وتشب وتنمو وتتطور وقد تموت أحيانا، وهي في هذه الرحلة قد تتغير مدلولاتها وتتسع دلالتها أو تضيق، لذا أنشئت هذه المعاجم التي تهتم بالبحث عن أصل معنى اللفظ ثم تتبع مراحل تطور هذا المعنى عبر العصور، فهي تدرس مراحل تغير معنى لفظ من الألفاظ عبر العصور وكيف تطور هذا المعنى حتى اليوم مرورا بالعصور المختلفة سواء في المعنى أو المضمون.

5- المعاجم المتخصصة:-

وهي التي تجمع ألفاظ علم معين ومصطلحاته أو فن ما، ثم تشرح كل لفظ حسب استعمال أهله والمتخصصين فيه، وقد قدم مجمع اللغة العربية أنواعا مختلفة من المعاجم لكل التخصصات.

ومن المعاجم التراثية المتخصصة "التذكرة" لداوود الأنطاكي وقد وضع في قسم كبير منه معجما للعقاقير والأعشاب الطبية، وكتاب "حياة الحيوان الكبرى" للدميري(1341-1405م) الذي جمع فيه أسماء الحيوان والحشرات والزواحف والطيور معرفا بها وبخصائص كل منها على طريقة عصره.

6- المعاجم ذات الطابع الموسوعي:-

إن هذا النوع من المعاجم يأخذ من المعجم الترتيب الهجائي للمادة كما في معجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم الأدباء له كذلك، وبعض الكتب التي تحمل في عناوينها كلمة تصلح أن تكون مرادفا لكلمة موسوعة وهي أقرب إلى المعجم مثل الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار وهو من النصف الأول من القرن السابع الهجري، حيث جمع فيه أسماء النباتات والحيوانات والمعادن التي تتخذ منها الأدوية والعقاقير، وعرف بالمادة وذكر ما قاله اليونان والعرب في منافعها ومضارها، ووضح طريقة تحضير الدواء منها وطريقة استعماله، ونبه على الوهم الذي يقع فيه السابقون بسبب اعتمادهم على النقل، ويعد ما وصل هو إليه نتيجة التجربة والمشاهدة هذه بعض أنواع المعاجم العربية التي اكتفينا

بالإشارة إليها دون غيرها من الأنواع الأخرى لعدم الإثقال ولأن غيرها ليس ذا بال في مجال دراسة المعاجم التراثية إذ هي في معظمها معاجم حديثة الوضع.

من ذلك المعاجم المصورة التي تثبت صور المواد المحسة، وقد استعان المجمع اللغوي في مصر بهذه الطريقة التي تسهم إى حد كبير في توصيل المعنى المراد، ومنها المعاجم المختصرة كالمختار والوجيز، ومعاجم اللهجات ومعاجم الشعراء والكتاب ويسجل المفردات التي استعملها في نتاجه الأدبي، ودوائر المعارف التي تعد مرجعا للتعريف بالأعلام والشعوب والبلدان والوقائع الحربية والعلوم وغيرها.

ونحاول فيما يلي عرض بعض نماذج من هذه المعاجم:-

هوامـــش

1- راجع د.تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص224 وما بعدها ،د.البدراوي زهران ،مصنفات الثروة اللفظية- كتاب الألفاظ – لعبد الرحمن بن عيسى الهمزاني ص68، 69 و مصادر عربية و قراءات في مراجع تراثية ص 43 وما بعدها

2- راجع أحمد عبد الغفور عطار في مقدمة الصحاح

3- ابن سيدة، المخصص ود . إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية بداءتها و تطورها ص9

4- د.البدراوي زهران ،مصادر عربية و قراءات في مراجع تراثية ص44

5- راجع مدلولات كلمة معجم "وأعجم في لسان العرب و القاموس المحيط و المصباح المنير و غيرها من المعاجم في مادة عجم"

6- راجع كتاب الخصائص لابن جني ،ج3 ص76

7- ابن جني ،سر صناعة الإعراب ج2 ص40

8- راجع المعاجم اللغوية العربية ص12 ، د.البدراوي زهران، مصادر عربية و قراءات في مراجع تراثية ص54

9- راجع أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح ص38

10- راجع د.عبد السميع محمد أحمد ، المعاجم العربية دراسة تحليلية ص16 و ما بعدها ،د.البدراوي زهران، مصادر عربية و قراءات في مراجع تراثية ص45

11- راجع د.البدراوي زهران، مصادر عربية و قراءات في مراجع تراثية ص45،46

12- راجع السابق ص46 و ما بعدها